الهدايات القرآنية في المفردة القرآنية (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)

في قوله تعالى:[أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فى اليمّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي][سورة طه، الآية رقم: 39]

د. حليمة عبد الله الجاك محمد *

الباحثة: وصال سليمان الشيخ محمد **

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة المفردة القرآنية في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[1]، وذلك من خلال التحليل اللغوي للمفردة والوقوف على دلالاتها التربوية والعقدية واللغوية، وإستقراء أقوال المفسرين، وبيان ما تحمله من معاني دقيقة في رعاية الله تعالى لأنبيائه، ووجوه العناية الإلهية بعباده.

وقسمت البحث إلى: خمسة مباحث تضمنت التعريف بالموضوع لغة واصطلاحاً، وجمع النصوص الواردة في كتب التفسير والوقوف على الدلالات للمفردة القرآنية (وَلِتُصْنَعَ)، والهدايات المستنبطة منها.

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها أن الآية من أبلغ التعابير عن الرعاية الخاصة التي أولاها الله لعبده موسى عليه السلام، وأهم

* أستاذ مساعد – – كلية القرآن الكريم – جامعة أفريقيا العالمية

** طالبة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن – كلية القرآن الكريم – جامعة أفريقيا العالمية الدولة: السودان – الخرطوم.

[1] (سورة طه، آية رقم: 39)

التطبيقات التربوية المتعلقة بالمسلم والتي لابد أن يحرص عليها ليكون نموذجاً يحتذى به، وأنها تمثل أيضاً نموذجاً لسنة ربانية في إعداد القادة.

وقد إتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال استقراء أقوال المفسرين من التفاسير المتقدمة والمتأخرة، وتحليل الدلالات اللغوية والبلاغية المتعلقة بالمفردة، ومن ثم دراسة سياق القصة وما يؤثر في فهم الآية، والمنهج الإستنباطي وهو استخراج الدلالات والشواهد من تلك النصوص، وذلك للوصول إلى نتائج دقيقة وجامعة بإذن الله، واستخلاص الهدايات التي تضمنتها الآية.

ومن خلال هذه النتائج اقترحت الدراسة عدداً من التوصيات منها أن على الباحثين بذل مزيد من العناية بالمفردات القرآنية فيما يتعلق بإبراز عناية الله في تربيته لأنبيائه، لما لها من أثر في تزكية النفوس، وتعميق فهم مقاصد القرآن، وتعزيز الثقة بالله في واقع المؤمنين في تربيتهم لأنفسهم، وتربية من يراعونهم فالمربي هو الله عز وجل، خاصة في عصرنا الحالي الذي دخلت فيه وسائل العولمة الحديثة.

Abstract:

This research aims to study the Qur'anic expression in the verse: "That you may be brought up under My eye" (Qur'an 20:39), through a linguistic analysis of the key term, examining its educational, theological, and linguistic implications, surveying the views of exegetes, and clarifying the precise meanings it conveys regarding God's care for His prophets and the various aspects of divine attention granted to His servants

The research is divided into sections that include: defining the topic linguistically and terminologically, compiling the relevant

texts from books of Qur'anic exegesis, analyzing the semantic dimensions of the Qur'anic term "لِتُصْنَعَ" and extracting the lessons and guidance derived from it.

The study reached several findings, the most significant of which is that this verse represents one of the most eloquent expressions of the special care that God bestowed upon His servant Moses (peace be upon him).

It also highlights key educational applications for Muslims, which they must embody in order to become exemplary role models, and demonstrates a divine pattern in the preparation and nurturing of leaders.

The researcher employed the inductive-analytical method by surveying the views of classical and modern exegetes, analyzing the linguistic and rhetorical connotations of the term, and examining the narrative context that influences the understanding of the verse. The deductive method was also used to extract meanings and evidences from these texts in order to arrive at accurate and comprehensive conclusions, and to derive the lessons contained within the verse.

Based on these findings, the study offers several recommendations, including the need for researchers to devote greater attention to Qur'anic vocabulary that reflects God's care in nurturing His prophets, due to its impact on refining the soul, deepening the understanding of the objectives of the Qur'an, and strengthening trust in God in the lives of believers as they cultivate themselves and those under their care.

Ultimately, God is the true Educator, especially in our present era marked by the influence of modern globalization tool.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم – (وَلِتُصْنَعَ) – التفسير الموضوعي – الهدايات القرآنية – سورة طه –العناية الإلهية.

مقدمة:

الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما.

ثم أما بعد:

القرآن الكريم كلام الله ووحيه، ورسالته إلى خلقه، وحبل الله المتين، وهو برهان، وهدى، ورحمة، وشفاء، ونور، وبلاغ، وبصائر، وفرقان، وموعظة، وهو الذكر الحكيم؛ لذلك نشأت العديد من العلوم القائمة على الحث على التدبر والفهم لكتاب الله سبحانه وتعالى ومنها علم التفسير وما يتضمنه من أسرار ومنها علم الهدايات.

وكذلك يعتبر القصص القرآني من الأساليب المعينة على فهم كتاب الله ومعرفة أسراره وتدبر معانيه، وتعد قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص القرآنية تكراراً وأعمق دلالة في بيان عناية الله تعالى بعباده، وكيف يتولى الله تعالى تربية من اصطفاهم لحمل رسالته إلى خلقه، ويتجلى ذلك في مسيرة حياة موسى عليه السلام منذ مولده؛ فقد أحاطه الله تعالى برعايته ليهيئه للرسالة العظيمة التي خصه بها وذلك من خلال قوله تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[1]، إذ فيه إشارة بليغة إلى أن تربية موسى عليه السلام لم تكن تربية عادية، بل كانت صناعة

[1] (سورة طه، آية رقم: 39)

ربانية مباشرة، قامت على الإعداد التكويني، والتهذيب النفسي، والتربية الإيمانية، والحماية المستمرة.

وقد جمعت سيرة موسى عليه السلام بين عناصر القوة واللين، بين الشدة والرحمة، وبين العلم والقيادة، ليكون نموذجاً فريداً في إعداد القادة الربانيين.

ولذلك وقع اختيار الباحثة على هذه المفردة بالدراسة، لأهميتها ولكونها منهج يحتذى به في التربية الإيمانية المتكاملة، ولما فيها من الدروس ما ينير طريق المربين والدعاة، والإبتلاءات التي تصقل وتشكل جوهر الإنسان، وتظهر العلاقة بين الإثبات والتأويل في فهم صفات الله عز وجل.

وإن مما أنعم الله به علي كطالبة علم، حبي للقرآن وأهله ومايتعلق به من علوم، وكذلك رغبتي وكغيري من طلبة العلم في الانخراط في تعلمه وتعليمه، فكان أن أكرمني الله بإنهاء رسالة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن، وتشوفت لإكمال المسيرة العلمية بالتقدم لإتمام الدكتوراه؛ لذلك تقدمت بهذه الورقة البحثية والتي إخترت لها هذا العنوان: الهدايات القرآنية في المفردة القرآنية"وَلِتُصْنَعَ" في قوله تعالى: (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فى اليمّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[1]، والتي أهدف من خلالها؛ الوقوف على تحليل هذه المفردة في كتب التفسيروإبراز ما فيها من لطائف والأساليب البيانية التي تعين على فهم معانيها واستخلاص الهدايات التي تضمنتها.

[1] (سورة طه، آية رقم: 39)

وقسمت البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث، وخاتمة وتوصيات، وسأتبع في هذا البحث منهج الإستقراء وذلك بجمع النص القرآني من كتب التفسير وتحليل الأدلة ومناقشتها، والمنهج الإستنباطي وهو إستخراج الدلالات والشواهد من تلك النصوص، وذلك للوصول إلى نتائج دقيقة وجامعة بإذن الله، وإستخلاص الهدايات التي تضمنتها الآية، أسأل الله التيسير والتوفيق والسداد.

وقد إطلعت على الدراسات السابقة في هذا الموضوع ووقفت على مايلي:

الدراسة الأولى: صناعة الله للقادة في القرآن الكريم – النبي موسى عليه السلام– دراسة تحليلية، المؤلف: أبو عياش، بدر أحمد، تأريخ الإصدار 1 يناير 2018م، جامعة الخليل.

وتناولت هذه الدراسة كيفية بناء القائد في القرآن الكريم من خلال آيات نبي الله موسى عليه السلام، وتكلمت الدراسة عن دور القائد الرباني في تحقيق ونجاح مهمته من خلال بعض إنجازات موسى عليه السلام.

وموضوع هذا البحث حول صناعة الله لأنبيائه عامة، ولنبيه موسى عليه السلام خاصة، وأن المجال التربوي معني بتطوير قادة قادرين على حمل الرسالة التربوية، وتوجيه المؤسسات التعلمية، وعلى تنمية مهارات الفرد القائد.

الدراسة الثانية: الأبعاد التربوية في قصة موسى عليه السلام وتطبيقاتها التربوية، إعداد الطالبة: دالية فتحي جاد الله، إشراف د. حمدان عبد الله

الصوفي، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم أصول التربية – تربية إسلامية، 1432هـ – 2011م.

وتبين هذه الدراسة كيف يعتني الله بتدبير أمور عباده الصالحين، فيعلمهم ويربيهم، ويجعلهم تحت رعايته.

وهذا البحث يضع بين أيدينا منهجا ربانياً شاملاً في صناعة الإنسان، وتكشف عن أن التربية الناجحة تقوم على مراحل وتحتاج إلى الحكمة، والتدرج، والرؤية البعيدة، والإبتلاءات التي تصقل وتشكل جوهر الإنسان.

الدراسة الثالثة: رسالة ماجستير: القيم التربوية في قصة موسى عليه السلام، الباحث: رابعة عبد الجليل، الجامعة: جامعة اليرموك، السنة: 2014م.

وتلخصت هذه الرسالة في بيان أن قصة موسى عليه السلام من أغنى القصص القرآني بالقيم التربوية؛ فهي تسجل مسيرة نبوية كاملة منذ مولده عليه السلام حتى رسالته، وتظهر تربية الله لعبده من خلال الابتلاء والإنعام والتجارب المتتالية.

وتلتقي هذه الدراسة مع موضوع البحث، عند معنى العناية الخاصة والتربية المباشرة في صناعة الله لأنبيائه عامة، وموسى عليه السلام خاصة، وما فيها من ترتيب وتدرج في المجال التربوي، تعتمد على الصبر والحكمة والقدرة على حل النزاعات

ومساعدة الآخرين.

الدراسة الرابعة: بحث: "تأملات بلاغية وبيانية في قوله تعالى: (ولتصنع على عيني)"، الباحث: محمد موسى محمد، المجلة: مجلة الدراسات القرآنية – جامعة أم درمان، السنة: 2020

وتتميز هذه الدراسة في كيف يسهم التركيب اللغوي والتصوير البياني في إبراز معنى العناية الإلهية الخاصة، وذلك من خلال الدلالات البلاغية التي تحملها هذه العبارة القرآنية.

وتلتقي الدراستان في أنهما تشيران إلى تهيئة الله عز وجل الخاصة بموسى عليه السلام، وعنايته المباشرة به، وأن التعبير(على عيني) من أقوى الأساليب في تصوير الرعاية التامة، والتربية الخاصة.

الدراسة الخامسة: رسالة ماجستير بعنوان: أسماء الله وصفاته بين الإثبات والتأويل – دراسة مقارنة – الباحث: منى الطائي- الجامعة: جامعة بغداد – السنة: 2016م.

وتشير الدراسة إلى أن أسماء الله وصفاته كلها حسنى، وبيان العلاقة بين إثبات ما وصف الله عز وجل به نفسه وإلى بيان أقوال أهل التأويل.

ويشترك هذا البحث مع الدراسة السابقة، في فهم صفات الله عز وجل، وإثباتها على الوجه الذي يليق به جل جلال، بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل والاستدلال على ذلك.

المبحث الأول

أساسيات البحث

وحسبما جرت عليه مستلزمات البحث العلمي قامت الباحثة بما يلي:

الأسباب التي دعت إلى اختيار البحث:

1.الكشف عن روائع التعبير القرآني في المفردة القرآنية (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[1]، وعظم الدلالة لهذه المفردة، إذ تضمنت هذه الآية معاني جليلة في الرعاية الإلهية والتدبير الرباني مما يستوجب الوقوف على هداياتها.

2. إرتباط الآية بمنهج التربية الإلهية للأنبياء، فالآية وردت في سياق إعداد موسى عليه السلام،وبالتالي إبراز صناعة الله عز وجل لأنبيائه، وصناعة موسى عليه السلام نموذج فريد ومنهج متميز في تربية وإعداد القادة.

3. الإحاطة بما تيسر من الهدايات القرآنية فيها، والتأكيد على أهمية علوم البلاغة في عرض الهدايات ودقة استخراجها.

4.قلة الدراسات في هذا المجال لأنه من العلوم المستحدثة وبالتالي قلة الباحثين فيه.

مشكلة البحث:

وتكمن مشكلة البحث في أنه على الرغم من ورود قوله تعالى:(وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)، في سياق قصة نبي الله موسى عليه وسلم، وما تحمله هذه المفردة من دلالات عقدية وتربوية عميقة، إلا أن الدراسات السابقة، تناولتها تناولاً جزئياً، دون الوقوف على أبعادها التربوية للإستفادة منها كمنوذج لتأسيس القادة والدعاة، وكمنهج يدرس في المؤسسات التعليمية.

كما أن علم الهدايات من العلوم المستحدثة وبالتالي قلة الباحثين في هذا المجال، وقد بحثت بعناية في المكتبات، فلم أقف على مراجع أو مؤلفات في هذا المجال إلا القليل، ومؤخراً تنبت جامعة أم القرى مكة المكرمة؛

[1] (سورة طه، آية رقم: 39).

مشروعاً بحثياً ضخماً يشمل كافة الدول المسلمة وجمعت هذه البحوث في موسوعة بإسم الهدايات القرآنية، وهو مشروع حضاري تحتاجه أمة الإسلام لربط هذا الجيل بالقرآن الكريم ويعود للإسلام مجده وسؤدده، جزا الله خيرا كل القائمين علي هذا المشروع وبارك في جهودهم.

ومن هنا نخلص إلى أن مشكلة البحث تتمثل في قصور الدراسات القرآنية عن إبراز الدلالات البلاغية والتربوية الكامنة في المفردة القرآنية: (وَلِتُصْنَعَ)، وبيان أثرها في صناعة القادة والأنبياء.

خطة البحث:

وقد قامت الباحثة بتقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث، وأهم النتائج التي توصلت إليها، والخاتمة، والتوصيات.

منهج البحث:

وقد اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي وذلك بجمع النص القرآني من كتب التفسير وتحليل الأدلة ومناقشتها، والمنهج الإستنباطي وهو استخراج الدلالات والشواهد من تلك النصوص، وذلك للوصول إلى نتائج دقيقة وجامعة بإذن الله، ومن ثم استخلاص الهدايات التي تضمنتها الآية.

المبحث الثاني

تعريف الهداية في القرآن الكريم

تعد مفردة الهداية من الألفاظ المتكررة في القرآن الكريم، وقد حظيت بعناية واسعة في المعاجم اللغوية العربية ويتبين ذلك فيما يلي:

الهداية لغة: أصلها من الفعل: هَدَى يَهْدِي هَدْياً وهِدايَة.

قال ابن فارس: الهاء والدال والحرف المعتل أصل يدل على دلالة بلطف.[1]

وقال ابن منظور: "الهُدى: الإرشاد والدلالة، وقد هداه الله لدينه هُدىً وهِدايةً، أي أرشده ووفقه".[2]

وقال صاحب تاج العروس: هدي: أي (الهدى، بضم الهاء وفتح الدال)؛ ضبطه هذا لأنه من أوزانه المشهورة؛ (الرشاد والدلالة) بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب، أنثى (و) قد (يذكر) ؛ كما في الصحاح، وأنشد ابن بري ليزيد بن خذاق:

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المكارم.

(والهدى) تعدي قال ابن جني: قال اللحياني: الهدى مذكر، قال: وقال الكسائي: بعض بني أسد تؤنثه تقول: هذا(هدى) مستقيمة.

وقد (هداه) الله للدين (يهديه) هدى (وهديا) وهداية، وهدية، بكسرهما) أي (أرشده)[3].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(329هـ – 395هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، ج: 6، ص: 27.

[2] لسان العرب، الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت: 711هـ)،، دار صادر، ط: 3، 1414هـ، ج: 15، ص: 393.

[3] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،، ج: 40ص: 282.

الهداية في الإصطلاح:

قال الجرجاني: الهداية: الدلالة بلطف، ثم تستعمل في الإرشاد مطلقاً[1].

وقال ابن القيم: هداية الإنسان على أربعة أوجه[2]:

1.الهداية العامة: وهي هداية الدلالة والإرشاد، يشترك فيها جميع الخلق.

2.الهداية الخاصة: وهي هداية التوفيق والإلهام، يختص الله بها من يشاء من عباده المؤمنين.

3.الهداية في الآخرة: إلى طريق الجنة والنار.

4.الهداية التامة: وهي جميع الأنواع كلها، وهي التي يطلبها العبد[3] في قوله تعالى: (إهدنا الصِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[4].

أنواع الهداية في القرآن الكريم:

جاءت الهداية في القرآن الكريم على أنحاء متعددة، تتفاوت بحسب متعلقها وأثرها، وقد استقرأ العلماء آيات الهداية فخلصوا إلى أن استعمالها القرآني لا يقتصر على معنى واحد، بل يتنوع إلى مراتب ومقامات، يجمعها

---

[1] التعريفات، للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني الحسيني الحنفي(ت: 816هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1403هـ، ص: 270.

2 مدارج السالكين، للإمام العلامة المحقق ابن قيم الجوزية (691–751 هـ)، ،تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج: 1، ص: 342.

3 المرجع السابق، ج: 1، ص: 343.

[4] (سورة الفاتحة، آية رقم: 6)

أصل الدلالة والإرشاد، ويفترق بعضها عن بعض في درجة التأثير والنتيجة، فقد أورد الإمام ابن تيمية أنواع الهداية: "الهداية هدايتان: هداية دلالة وإرشاد، وهداية توفيق وإلهام، فالأولى قد تحصل من غير الله، وأما الثانية فلا تكون إلا من الله".[1]

مراتب الهداية وتتمثل في:

أولاً: هداية الدلالة والإرشاد، وتعني: بيان الطريق وإظهار الحق.، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[3].

ثانياً: هداية التوفيق والإلهام وهي: خلق الإيمان في القلب وتوفيق العبد للعمل الصالح،بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[4]، قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾[5].

ثالثاً: هداية التكوين والخلق ومعناها: توجيه الله للمخلوقات لما خلقت له، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[7].

---

[1] مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728)، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد،المدينة المنورة، 1415هـ، ج: 8، ص: 6.

[2] (سورة الشورى، آية رقم: 52).

[3] (سورة فصلت، آية رقم: 17).

[4] (سورة القصص، آية رقم: 56).

[5] (سورة الأعراف، آية: 178).

[6] (سورة طه، آية رقم: 50).

[7] (سورة الأعلى، آية رقم: 2-3).

رابعاً: هداية الجزاء والمكافأة وتعني: زيادة الهداية لمن استجاب لله لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[1]، و قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[2].

وتقول الباحثة في الجمع بين هذه التعريفات اللغوية لمفردة الهداية، وبين وما ورد فيها من أنواع أن المعنى اللغوي للهداية لا يقتصر على مجرد الإرشاد، بل يتضمن عناصر أساسية، أبرزها، الدلالة ووضوح الطريق، والوصول إلى الغاية، واتصاف الإرشاد بالرفق واللطف.

ويتبين أن الهداية في القرآن الكريم ليست مرتبة واحدة، بل هي مراتب متدرجة، تبدأ بالبيان، وتنتهي بالوصول إلى دار الكرامة، وأن أكملها وأعظمها هداية التوفيق، وذلك بفضل الله تعالى وكرمه.

المبحث الثالث

التعريف اللغوي والاصطلاحي للمفردة القرآنية " وَلِتُصْنَع "

المفردة القرآنية " وَلِتُصْنَعَ" وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[3]، وفيما يلي نقف على تعريف هذه المفردة في اللغة:ص. ن.ع "20"

[1] (سورة محمد، آية رقم: 17).

[2] (سورة مريم، آية رقم: 76).

تدور مادة ص. ن. ع حول عدة معاني: على معنى الإحداث.

لتصنع: أي لتتربى بمرأى مني ورعاية خاصة بك.

قال ابن فارس: (ص ن ع) أصل واحد يدل على عمل الشئ على تؤدة وإحكام.

و(صنع) الصاد والنون والعين أصل صحيح واحد، وهو عمل الشيء صنعا، وامرأة صناع ورجل صنع، إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه.[1]

وصنع: صنعه يصنعه صنعا، فهو مصنوع وصنع: عمله، وقوله تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)[2]، قال أبو إسحاق: القراءة بالنصب ويجوز الرفع، فمن نصب فعلى المصدر لأن قوله تعالى: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، دليل على الصنعة كأنه قال صنع الله ذلك صنعا، ومن قرأ صنع الله فعلى معنى ذلك صنع الله.[3]

وجاء في المصباح المنير: (ص ن ع): صنعته أصنعه صنعا والاسم الصناعة والفاعل صانع والجمع صناع والصنعة عمل الصانع.[4]

(وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) مجازه ولتغذى ولتربّى على ما أريد وأحب، يقال: اتخذه لي على عينى، أي على ما أردت وهويت.[5]

---

[3] (سورة طه، آية رقم: 39).

[1] معجم مقاييس اللغة، مرجع سبق ذكره،.

[2] (سورة النمل، آية رقم: 88).

[3] لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ج: 8، ص: 208.

[4]– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ج: 1، ص: 348 – 349.

صنع: (مصانع): أبنية. (صنعا) وصنيعا: عملا. (وَلِتُصْنَعَ): تربى وتغذى.[1]

صنع إليه معروفا، كمنع، صنعا، بالضم، وصنع به صنيعا قبيحا: فعله،و. الشيء صنعا بالفتح والضم: عمله، وما أحسن صنع الله، بالضم، وصنيع الله عندك.[2]

وتقول الباحثة للجمع بين التعريفات اللغوية في كلمة "وَلِتُصْنَعَ" أنها كلها تدور حول معاني الإحكام والتربية والرعاية الإلهية والتهيئة على وجه الخصوص، وكذلك تدل على التدبير المقصود، والتدرج في الفعل مع العناية.

وكذلك هناك فرق بين الصنع والفعل، إذ أن الصنع يدل على وجود قصد سابق ومهارة الصانع وعنايته المستمرة بما صنع.

أما الدلالة البلاغية للفعل صنع، يدل على تحقق الفعل وثبوت أثره وعلى اكتمال المقصود من صنعه واستعماله بصيغة الماضي يكون عادة في سياق التقريرأو الذم.

---

[5]– مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، تحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: 1381 هـ، ج: 2، ص: 19.

[1]– تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403هـ – 1983م، ص:199.

[2]– القاموس المحيط، مرجع سبق ذكره، ج: 1، ص: 738.

أما من حيث تصريف الفعل بصيغة المضارع يحمل دلالات بلاغية منها: الإستمرار، والتجدد، ودوام العناية كما في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ).[1]

والبعد البلاغي هنا في هذا الاستعمال القرآني (وَلِتُصْنَعَ) يأتي ليؤكد كمال قدرة الله عز وجل ودقة تدبيره وحكمته في عنايته لنبيه موسى عليه السلام. كما أن الجمع بين الصنع والعين يفيد التربية المتدرجة والإعداد المقصود لرسالة عظيمة.

التعريف الإصطلاحي للمفردة القرآنية (وَلِتُصْنَعَ):

يقال: "صنع الشئ: صنع: الصنع: إجادة الفعل، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعا، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل؛ قال تعالى:(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)[2]، (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ)[3]، (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ)[4]، (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)[5]، (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ)[6]، (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[7]، (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا)[8]، (تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا)[9]،

---

[1] (سورة العنكبوت، آية رقم: 45).

[2] (سورة النمل، آية رقم: 88).

[3] (سورة هود، آية رقم:38).

[4] (سورة هود، آية رقم:37).

[5] (سورة الكهف، آية رقم: 104).

[6] (سورة الأنبياء، آية رقم: 80).

[7] (سورة المائدة، آية رقم: 63).

[8] (سورة هود، آية رقم: 16).

[9] (سورة طه، آية رقم: 69).

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)[1]، وللإجادة يقال للحاذق المجيد: صنع، وللحاذقة المجيدة: صناع، والصنيعة: ما اصطنعته من خير، وفرس صنيع: أحسن القيام عليه. وعبر عن الأمكنة الشريفة بالمصانع. قال تعالى:(وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ)[2] وقوله: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[3]، (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)، إشارة إلى نحو ما قال بعض الحكماء: (إن الله تعالى إذا أحب عبدا تفقده كما يتفقد الصديق صديقه).[4]

وترى الباحثة، للجمع بين هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية نجدها كلها تدور حول الإحداث والخلق والتربية والرعاية والحفظ، وبذلك يظهر أن التعبير القرآني في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[5] يجمع بين الإعجاز اللغوي والعمق التربوي، إذ يربط بين القدر والعناية الإلهية، وبين الإعداد الرباني للمصطفين الأخيار، وموسى عليه السلام من أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن، لخصوصية نشأته ومن ثم مبعثه، ورسالته لأضل الخلق وهو فرعون وملأيه، لذلك نجد مراحل حياته منذ أن ولد في عام كان يقتل فيه الأولاد، ثم أوحى الله تعالى إلى أمه فألقته في اليم ثم ألقاه اليم أمام بيت عدو الله وعدوه من بعد، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها

---

[1] (سورة العنكبوت، آية رقم: 45).

[2] (سورة الشعراء، آية رقم: 129).

[3] (سورة طه، آية رقم: 41).

[4] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – الدار الشامية، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ – 1992م، ص: 493.

[5] (سورة طه، آية رقم: 39).

وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا.

فجاءت أخت موسى، فقالت لهم: (هل {إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا)[1] وهكذا نشأ موسى في بيت فرعون ليكون له عدواً وحزناً، و ما صنع الله لموسى، إذ جعل عدوه الذي يطلب قتله، محبا له، حب الأب لإبنه، وتنتهي القصة بأن آتا الله موسى سؤله فأهلك فروعون وجنوده بالغرق، هذه التربية فيها إصطفاء أجاد الله عز وجل صنعة موسى عليه السلام ليرسله رسولاً إلى بني إسرائيل.

المبحث الرابع

أقوال المفسرين في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ):

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[2] وتعددت أقوال المفسرين فيما تحمله هذه المفردة من معاني، فقد جاء في تفسير الإمام الطبريَ (وَلِتُصْنَعَ) معناها: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي.

[1] (سورة طه، آية رقم: 40).

[2] (سورة طه، آية رقم: 39).

ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: هو غذاؤه، ولتغذى على عيني.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) قال: جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها.

ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) قال: أنت بعيني إذ جعلتك أمك في التابوت، ثم في البحر، و (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ). وقرأ ابن نهيك (وَلِتُصْنَعَ) بفتح التاء.

وتأوله كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقرأ (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) فسألته عن ذلك، فقال: ولتعمل على عيني.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها (وَلِتُصْنَعَ) بضم التاء، لإجماع الحجة من القراء عليها.

وإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به، التأويل الذي تأوله قتادة، وهو (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني، وعني بقوله (عَلى عَيْنِي) بمرأى مني ومحبة وإرادة.[1]

وخلاصة ما يراه الإمام الطبري في معنى قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[2] هو: أن يُربى موسى عليه السلام تربية خاصة، بعلم الله وإرادته ورعايته، وتحت حفظه ومراقبته.ونقل الإمام الطبري عن عدد من السلف أن معنى على عيني هو: بحفظي، وبعنايتي، وبمرأى مني، وكلها معانٍ متقاربة تدل على كمال العناية الإلهية، دون تشبيه أو تمثيل، على ما يليق بجلال الله تعالى.

وفي تفسير الإمام ابن كثير: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[3] قال أبو عمران الجوني: تربى بعين الله، وقال قتادة: تغذى على عيني، وقال معمر بن المثنى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) بحيث أرى، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف، غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.[4]

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج: 18، ص: 303- 304.

[2] (سورة طه، آية رقم: 39)

[3]- (سورة طه، آية رقم: 39)

[4] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م، ج: 5، ص: 284.

وخلاصة ما أورده الإمام ابن كثير في هذه الآية يدل على العناية الإلهية الخاصة بموسى عليه السلام، وتربيته وإعداده أعداداً متدرجاً مقصوداً للنبوة، تحت حفظ الله وعلمه.

وجاء في تفسير الألوسي: وقوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) متعلق بألقيت على أنه عطف على علة مضمرة أي ليتعطف عليك ولتصنع أو متعلق بفعل مضمر مؤخر أي ولتصنع إلخ فعلت ذلك أي إلقاء المحبة عليك، وزعم أنه متعلق بألقيت على أن الواو مقحمة ليس بشيء وعلى عيني أي بمرأى مني متعلق بمحذوف وقع حالا من المستتر في «تصنع» وهو إستعارة تمثيلية للحفظ والصون فإن ألمصون يجعل بمرأ والصنع الإحسان، قال النحاس: يقال صنعت الفرس إذا أحسنت إليه.

والمعنى وليفعل بك الصنيعة والإحسان وتربى بالحنو والشفقة وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي ألرجل الشيء بعينه إذا إعتنى به. [1]

وقرأ أبو جعفر في رواية (وَلِتُصْنَعَ) بكسر اللام وجزم الفعل بها لأنها لام الأمر وأمر المخاطب باللام شاذ لكن لما كان الفعل مبنيا للمفعول هنا وكان أصله مسندا للغائب ولا كلام في أمره باللام استصحب ذلك بعد نقله إلى المفعول للاختصار، والظاهر أن العطف على قوله تعالى: وألقيت

[1]– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج: 8، ص: 503.

عليك محبة مني إلا أن فيه عطف الإنشاء على الخبر وفيه كلام مشهور لكن قيل هنا: إنه هون أمره كون الأمر في معنى الخبر.

وقال صاحب اللوامح: إن العطف على قوله تعالى: فليلقه فلا عطف فيه للإنشاء على الخبر.

وقرأ شيبة وأبو جعفر في رواية أخرى كذلك إلا أنه سكن اللام وهي لام الأمر أيضا وبقية الكلام نحو ما مر.

ويحتمل أن تكون لام كي سكنت تخفيفا ولم يظهر فتح العين للإدغام، قال الخفاجي: وهذا حسن جدا. [1]

ويفيد ما أورده الألوسي من أقوال في تفسيره: أن الصنع يدل على الإعداد الإلهي المحكم لموسى عليه السلام، تحت رعاية الله ومراقبته، وأن الإبتلاءات جزء من الصنع الرباني لا من الإهمال.

وجاء في تفسير السيوطي: في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)، قال: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي نهيك – رضي الله عنه – قال: ولتعمل على عيني.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني رضي الله عنه في قوله: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) قال: تربى بعين الله.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) قال: ولتغذى على عيني.

[1] المرجع السابق، ج: 8، ص: 504.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في الآية يقول: أنت بعيني إذ جعلتك أمك في التابوت ثم في البحر(إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا)[1].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والخطيب عن ابن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ يقول الله: (وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) قال: من قتل النفس (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) قال: أخلصناك إخلاصا.[2]

وخلاصة ما أورده السيوطي من معاني: أن الصنع هنا بمعنى: التربية والإعداد والتدرج.

وعلى عيني كناية عن الحفظ، والعناية، والرعاية الخاصة، والمراقبة الإلهية الدائمة.

وأما ما أورده السعدي من أقوال في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) أي ولتتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجل وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على ايصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه، فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك

[1] (سورة طه، آية رقم: 40).

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور الدر المنثور،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر – بيروت، 5، ص: 568.

لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقت أمه قلقا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا، فجاءت أخت موسى، فقالت لهم: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون)[1]، (رَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ)[2].

وقد أخبر الله تعالى أن نبيه موسى عليه السلام، دخل مدينة مصرفي وقت غفلة من أهلها، فوجد رجلين يتخاصمان ويتضاربان،، واحد من شيعة موسى، والآخر من أعدائه، وهو رجل قبطي من قوم فرعون، (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ)[3] فدعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هاربا لما سمع أن الملأ طلبوه، يريدون قتله، فنجاه الله من الغم من عقوبة الذنب، ومن القتل[4]

وارتباط الآية بموضوع البحث فيما أورده الإمام السعدي في تفسيره، أن هذه الحادثة كانت مرحلة من مراحل الصنع الإلهي لموسى عليه السلام، إذ

---

[1] (سورة القصص، آية رقم: 12).

[2] (سورة طه، آية رقم: 40).

[3] (سورة القصص، آية رقم: 15).

[4] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، ص: 504.

ترتب عليه خروجه من مصر، وكانت هذه بداية لمرحلة جديدة من التربية والإعداد الرباني.

وأما ما أورده ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير: في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[1] وقرأ أبو جعفر: (وَلِتُصْنَعَ) بسكون اللام والعين والإدغام.

قال قتادة: لتغذى على محبتي وإرادتي.

قال أبو عبيدة: على ما أريد وأحب.

قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غذي فلان على عيني، أي: على المحبة مِنّي.

وقال غيره: لتربى وتغذى بمرأى مني، يقال: صنع الرجل جاريته: إذا رباها؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته.[2]

وخلاصة ما يراه ابن الجوزي في الآية أنها تدل على التربية الإلهية الخاصة لموسى عليه السلام، بعناية الله وحفظه، وإعداده إعداداً مقصوداً لحمل الرسالة.

وجاء في فتح البيان في مقاصد القرآن في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)[3]، قال أبو عبيدة: وابن الأنباري: أن المعنى لتغذى على محبتي وإرادتي، تقول أتخذ الأشياء على عيني أي على محبتي قال ابن الأنباري:

---

[1] (سورة طه، آية رقم: 39).

[2] زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، ج: 5،ص: 284.

[3] (سورة طه، آية رقم: 39).

العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار: من قول العرب: عدا فلان على عيني أي على المحبة مني، قيل أي فعلت ذلك لتصنع.

وقيل أي ولتصنع على عيني قدرنا مشي أختك، والعين أيضا من ألفاظ الصفات فلا تؤول وتجزى على ظاهرها وهو الأولى، وقرئ ولتصنع بإسكان اللام على الأمر وقرئ بفتح التاء والمعنى ولتكون حركتك وتصرفك بمشيئتي، وعلى عين مني، وقال الزمخشري قريبا منه.[1]

وأما قول الزمخشري: لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به، وتقول للصانع: اصنع هذا على عينى أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتي ولتصنع: معطوف على علة مضمرة، مثل: ليتعطف عليك وترأم أي تحب وتؤلف ونحوه. أو حذف معلله، ولتصنع فعلت ذلك. وقرئ: ولتصنع ولتصنع، بكسر اللام وسكونها. والجزم على أنه أمر.

وقرئ: ولتصنع، بفتح التاء والنصب، أي: وليكون عملك وتصرفك على عين منى.[2]

---

[1] فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م، ج: 8، ص: 230- 231.

[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ، ج: 3، ص: 64.

يرى الزمخشري أن في الآية كناية بلاغية عن كمال العناية الإلهية والمراقبة الدائمة، وأن الصنع يدل على الإعداد المتقن المقصود لموسى عليه السلام.

وتدل مجموع أقوال المفسرين في الآية على أن الله تعالى تولى تربية موسى عليه السلام تربيةً خاصة، بعناية وحفظ وإعداد متدرج، وأن جميع ما مر به كان جزءًا من الصنع الإلهي والمقصود للرسالة.

وأن هذه التربية لم تقتصر على موسى عليه السلام، بل تتجلى بوضوح في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يؤكد وحدة السنن الإلهية في إعداد الرسل.

فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولد في مجتمع جاهلي يغلب عليه الشرك، وولد يتيماً فنشأ في بيوت متعددة، وكما صنع الله تعالى موسى عليه السلام، فقد ربى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم برعاية دقيقة وإعداد متدرج، وذلك يؤكد أن القيادة الرسالية لا تترك للصدفة، بل تُنشأ بعناية الله وتدبيره.

وأن ما أورده المفسرون في كتبهم من تباين في المعنى يعد من باب التنوع لا من باب التضاد وذلك لغزارة اللغة العربية وتعدد معانيها.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن قوله تعالى:(وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي)، يمثل نموذجاً بديعاً للبلاغة القرآنية، وقاعدة قرآنية كبرى في فهم سنن التربية الإلهية، وحقيقة الرعاية الربانية، والإعداد الرسالي لصفوة الله من خلقه، وقد جمعت

مابين البعد العقدي، والدلالات البلاغية، والموجهات التربوية والعملية، وذلك من خلال استقراء ماخلص إليه المفسرون كل بما فتح الله عليه، وفي هذا البحث أُورد مافتحه الله على من هذه النتائج والهدايات أوجزها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

النتائج العقدية:

1. تفيد الآية أن كمال العناية الإلهية بالأنبياء، والاصطفاء والإعداد الرباني يسبق التكليف والرسالة.
2. المراد من الآية، إثبات صفة العين لله عز وجل، على الوجه الذي يليق به، وفقاً لمنهج أهل السنة والجماعة، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، وذلك بإتفاق المفسرين الذين هم على هذا المنهج.
3. تفيد الآية أن ما يقدره الله تعالى لعباده من محن وابتلاء، قد يكون في ظاهره عقوبة، وفي حقيقته تربية وإعداد.

النتائج التفسيرية:

1. تفيد الأقوال التي أجمع عليها المفسرون، أن معنى الآية، يتجاوز مجرد الحفظ، ليشمل الرعاية الدائمة، والتغذية، والمحبة، والتنشئة المتكاملة.
2. يدل التعبير القرآني في الآية، على أن تربية موسى عليه السلام تمت وفقاً لتخطيط إلهي محكم ومتدرج، وليس على سبيل المصادفة.
3. المراد بوحدة البناء الموضوعي في قصة موسى عليه السلام، الذي ظهر في الآية وتكامل أحداثها، أن هذا يدخل ضمن مقاصد الإعداد للرسالة.

النتائج اللغوية والبلاغية:

1. تشير الدلالة البلاغية للآية إلى إختيار هذه المفردة:(وَلِتُصْنَعَ)، لما تحمله من معاني الإعداد المتدرج والمتقن، وعلى مدى طويل من مولده إلى أن أرسله الله إلى بني إسرائيل.
2. تشير الآية إلى التناسق البديع بين اللفظ والمعنى، حيث أنها جمعت بين الإيجاز مع كثافة الدلالات البلاغية، وذلك من إعجاز القرآن.

النتائج حول السنن والمقاصد الإلهية:

1. المراد من الآية أن السنن الإلهية الثابتة للتمكين في الأرض، لابد من أن يسبقها إعداد وإبتلاء.
2. تفيد الآية أن العناية الإلهية قد تتحقق عبر أسباب ظاهرها يختلف عما هو واقع، كما في تربية موسى عليه السلام.

3. تشير الآية إلى أن مشيئة الله نافذة، وأن كيد الطغاة قد يتحول إلى وسيلة، الغرض من ورائها تحقيق مقاصد ربانية يعلمها الله.

النتائج التربوية والعملية:

1. ترمز الآية إلى أصل تربوي مهم، وهو أن بناء القادة والدعاة يسبق مرحلة التكليف.
2. تشير الآية إلى نموذج قرآني بديع في التربية، يقوم على الصبر، والتدرج، والثقة، وحسن الظن في حسن تدبير الله تعالى.
3. المراد من الآية أهمية الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، فأقذفيه في التابوت سبب، وإلقائه في اليم توكل وتسليم، فدلالة الآية على وجوب الأخذ بالأسباب إبتداءً ومن ثم التوكل على الله.
4. المراد من الآية تسلية النبي صلى عليه وسلم وأمته، فكما صنع الله بموسى عليه السلام فحفظه وأحاطه برعايته حتى بلغ رسالته، كذلك يصنع بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا فيه تثبيت لقلبه في مواجهة الأذى والصد الذي لاقاهُ من قومه.
5. تفيد الآية أن الله تعالى إذا أحب العبد ألقى محبته في قلوب عباده.
6. تفيد الآية بما اشتملت عليه من قيم عظيمة تعين الدعاة والمصلحين، في ترسيخ الطمأنينة في نفوسهم ويزداد إيمانهم وثباتهم عند مواجهة الإبتلاءات.

7. تشير الآية إلى أن فهم الهدايات القرآنية، يسهم في تصحيح المفاهيم التربوية المعاصرة، ويعيد توجيهها نحو مركزية الإيمان بالله في صناعة القادة والدعاة والمربين.

ثانياً: التوصيات:

وتوصي الباحثة بما يلي:

أولاً: التوسع في الدراسة الموضوعية، حول مفهوم الصنع الإلهي، ضمن سياق القرآني للآية، وربطها بمفهوم العناية الإلهية والتربية الربانية في قصص الأنبياء، لا سيما قصة موسى عليه السلام.

ثانياً: إفراد دراسة تركز على الجانب البلاغي في الآية، مع تحليل دلالات النصوص، وأثر ذلك في إبراز المعنى العقدي والتربوي.

ثالثاً: إجراء مقارنة بين أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، والجمع بين المفسرين قديمهم وحديثهم، مع بيان الفروق المنهجية بين هذه المدارس التفسيرية، بين المفسرين بالمأثور والتفسير بالرأي.

رابعاً: توظيف الدلالات التربوية المستنبطة من قصة موسى عليه السلام، واستثمارها في بناء نماذج تربوية معاصرة، تسهم في إعداد جيل رباني، خاصة في مجالات التربية والتعليم والدعوة إلى الله عز وجل.

خامساً: أهمية دراسة مصطلحات المفردة القرآنية (وَلِتُصْنَعَ) وربطها بالجذر اللغوي للآية، وبيان الأساليب البلاغية في التعبير القرآني، لا سيما التي تتضمن معنى الرعاية لما لها من أثر في ترسيخ مفهوم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: في الحديث الذي أورده البخاري في صحيحه، ورواه عبد الله

بن عمر رضي الله عنهما حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته".

سادساً: ضرورة ربط الحكمة من الابتلاء، بالإيمان بالقضاء والقدر، وبيان أثر ذلك في تعزيز الثقة والرضا بقضاء الله خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأزمات.

سابعاً: تشجيع الباحثين على بذل مزيد من العناية بدراسة المفردة القرآنية (وَلِتُصْنَعَ)، خاصة فيما يتعلق بالإبتلاء والتمكين، وعناية الله في تربيته لأنبيائه لما لها من أثر في تزكية النفوس وتعميق فهم مقاصد القرآن، وتعزيز الثقة بالله في واقع المؤمنين في تربيتهم لأنفسهم وتربية من يراعونهم فالمربي هو الله عز وجل، خاصة في عصرنا الحالي الذي دخلت فيه وسائل العولمة الحديثة.

ثامناً: الاستفادة من نتائج هذا البحث ما أمكن في تطوير المناهج التعليمية والبرامج التربوية، لما له من أثر في تعميق الوعي القرآني وتعزيز الإرتباط بكتاب الله العزيز.

تاسعاً: أوصي إدارة الجامعات بإقتراح بحوث تُعنى باستلهام معاني الآية في الواقع الدعوي والتعليمي، ولا سيما في مجال إعداد الدعاة والمعلمين والقادة.

عاشراً: وأخيراً أوصي طلاب الدراسات العليا، بالإقبال على دراسة هذه المفردة القرآنية (وَلِتُصْنَعَ) دراسة أوسع، خاصة فيما لم يسعني تناوله في هذه الورقة البحثية.

قائمة المصادرالمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

1. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، ج: 40، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ص: 282.
2. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م، ص:199.
3. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،

دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م)، ج: 1، ص: 134وص: 270.

4. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م، ج: 5، ص: 284.
5. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ –2000 م، ص: 504.
6. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج: 18، ص: 303- 304.
7. الدر المنثور في التفسير بالمأثور الدر المنثور،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر - بيروت، 5، ص: 568.
8. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق:

علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج: 8، ص: 503-504.

9. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، ج: 5،ص: 284.

10. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م، ج: 8، ص: 230- 231.

11. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص: 738- 739.

12. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ، ج: 3، ص: 64.

13. لسان العرب، الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت: 711هـ)،، دار صادر، ط: 3، 1414هـ، ج: 15، ص: 393. وص:209، ص: 211-212.

14. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، تحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: 1381 هـ، ج: 2، ص: 17. مدارج السالكين، للإمام العلامة المحقق ابن قيم الجوزية (691-751 هـ)،،تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج: 1، ص: 342- 343.

15. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728)، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1415هـ، ج: 8، ص: 6.

16. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ج: 1، ص: 348 – 349.

17. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(329هـ – 395هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، ج: 6، ص: 27.

18. معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 456- 457.

19. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – الدار الشامية، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م، ص: 529.